البوهيمي

مجموعة قصصية

البوهيمي

مجموعة قصصية

أحمد رشدي

البوهيمي

مجموعة قصصية

أحمد رشدي

مشروع
النشر
الحر

إصدار: أكتوبر ٢٠١٧

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢١٧٧٣ / ٢٠١٧

Mob: +2 01091985809 - +2 01272143509
WhatsApp: +2 01091985809
Site: www.Lotusfreepub.com
Mail: Lotusfreepub@gmail.com
F Account: www.facebook.com/lotusbookshopp
F Page: www.facebook.com/lotusfreepub

منشورات دار لوتس للنشر الحر

أول شارع الملك فيصل - بجوار محطة مترو فيصل - الجيزة - مصر

كل ما ورد بهذا الكتاب هو مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيلاً له غير منقول، وجميع الحقوق محفوظة له.

الغلاف والإخراج الداخلي: دار لوتس للنشر الحر

إهداء

إلى منى.. ملهمتي، وسيدة تلك الكلمات

إطلالة

اتخذتُ كرسيًا على يمين طاولة تطل على شرفة كازينو، حدقت ناحية الشارع متأملا، أحاديث المارة متداخلة، أصوات، وأضواء سيارات، أعمده إنارة عالية تتدلى برأسها على رصيف يحمل مقاعد عامة يجلس عليها المتحابين في تبادل للهمسات، كان عدد الجالسين كثيرا؛ فاليوم هو العيد المقرّر عالميا للحب! اصطفّ العشاق على الكراسي اثنين اثنين، وامتلأت المطاعم، والمقاهي، وتألقت محالات الهدايا،

كل شيء اكتسى برداء أحمر اللون، كل شيء حولي قد اعتنق اللون الأحمر، ملابس حمراء، وهدايا معلقة باللون الأحمر، حتى السيارات ذات اللون الأحمر كثرت على الطريق، أضواء الإنارة حمراء طابعة على الطريق اللون الأحمر، وعلى الوجوه وجدتُ كل شيء مكتسي بالأحمر، كل شيء أحمر، انتبهت لنقطة باهتة اللون التف، حولها كل هذا الاحمرار!

كانت قابعة على حافة الشارع، بقعة داكنة يعتليها غبش وغموض، ركزْتُ نظري عليها حتى بانت لي واضحة، وصار كل –ما عداها– مشوشًا وباهتا، وجدتها جالسة على كرسي متحرك، وترتدى ثوبا مهترئا بنيّ اللون، وعلى رأسها غطاء شعر أزرق، تضع على قدميها قطعة كحلاء من القماش، يتراص عليها بعض الورود، ورودٌ حمراء لم أكن لألمحها إلا من بعد تمعن شديد.

قادني الفضول أكثر، فنهضتُ من جلستي للخارج، متجها نحوها بخطوات مستريبة بعض الشيء حتى اقتربتُ منها، فبان لي مشهدها الكئيب أكثر وضوحا، أخرجتُ من جيبي بعض

النقود ومددت لها يدي، فأمدَت يدها وأخرجتْ من حِجرها وردة، رفعتْ لي يدها وألقت عليا نظرة مستريبة، أخذتها منها وأنا أنظر إليها شاكرا إياها، تعجبَتْ من اهتمامي قائلة:

- ربى يعطيك الصحة.

عُدت من حيث أتيت بجوار الشرفة أتأمل الناس، ضحكات تتعالى، وأياد متشابكة، عدت لأتأملها من جديد، كانت نظراتي لها تحمل نوعا من التأمل، والشفقة، والاستغراب! أي حياة تلك التي تحياها هذه المسكينة؟ لماذا يميز عيد الحب بين الناس فيختار من بينهم الأصلح؟ كيف يرعَى الحب بغير حياد؟

أطلتُ النظر إليها قليلا فانتبهتْ لي، ألقتْ عليا نظرة قصيرة، ثم أشاحت بوجهها للناحية اليسرى، ولم تفتأ أن أدارته ناحيتي من جديد، تلك النظرة الثانية كانت طويلة نوعا، لمحتُ في نظراتها معَانٍ متداخلة؛ تعجب، وفضول، وانكسار، وحزن، وأيضا اهتمام، حتى قطع نظرتها شاب وفتاة، وقفَا أمامها

ليبتاعا منها ورودا، لم تَكن في جعبتها سوى أربع وردات، اشتريتُ أنا واحدة، ووجدتها تمد يدها بوردتين لهذين المحبين، وبقي معها وردة واحدة، عندما ذهب الاثنين وضحتْ لي ولها نطاق الرؤية من جديد، فأعادت النظر لي مرة أخرى.

ما شغلني في تلك النظرة عن سابقيها أنني خجلت من نظرتها، أشحتُ بوجهي عنها ولم ألبث أن أدرت عينيّ صوبها ثانية، فوجدتُ شابا وفتاة يقفان أمامها وبعد قليل تركاها واستأنفا سيرهما، فبانتْ لي البائعة، لمحتها تمد يدها لحِجرها ممسكة بالوردة المتبقية.

ظللت متأملا لأعرف من ذا صاحب الحظ الذي سينال الوردة الأخيرة؟ وجدتها تُلقى النظرات هنا وهناك، تتأمل السائرين بأعين مُوشاة بالترقب. عَلت الأصوات وكثُر المارة وامتلأ الكازينو بالرفقاء، فجأة قاطعني صوت، إنه صوت رفيقتي التي كنت في انتظارها، كانت مبتهجة للغاية، ومتألقة، مرتدية أجمل الألوان التي -بالطبع- يترأسها اللون الأحمر، اقتربت

مني محملة بالهدايا والورود، تكسو وجهها سعادة طفولية ومرح ورغبة في الانطلاق، جلستْ بجانبي فابتسمت لها وهمستُ في أذنها بكلمات، كان كلامها كثيرا ولطيفا، تحدثنا قليلا حتى اقترب منّا النادل متسائلا عما نريده من شراب، ومن ثم ذهب متنقلا بين الطاولات. همستْ رفيقتي قائلة:

– المكان جميل جدا.

ثم أشاحت بوجهها عني متأملة المكان والجالسين، والزينة المعلقة، أدرتُ أنا وجهي للناحية الأخرى حيث الشرفة، تعجبتُ حينما وجدت البائعة تنظر نحونا!

لم أجد في يدها الوردة المتبقية، فأدركت أن صاحب الحظ قد نالها، كانت نظرتها هذه المرة تحمل عمقا عجيبا؛ وجهها ناعس بعض الشيء وعيناها غائرتان حزينتان، وتهدلت شفتاها بانفراجة بسيطة، أضفت على وجهها طابعا مسكينا، تصنّعتْ الانشغال عنّا، بعد قليل وضعتْ يديها على إطارات الكرسي دافعة إياه للأمام وفي انعطافها به يمينا وقعتْ من حجرها وردة، تعجبتُ!

توقفَتْ فجأة وانحنت بجسدها للأسفل ملتقطة إياها برقّة، وضعتْها مرة أخرى في حِجرها، ودفعت بكرسيها في اتجاه الشارع المعاكس لي، تسمرتْ عينايّ عليها، تدفع بالإطارات للأمام فيتحرك الكرسي وعندما يتباطأ، تقوم بالدفع مرة أخرى باحتراف، أخذتْ في الابتعاد أكثر فأكثر وسط الزحام حتى ابتلعها الشارع، وتلاشت تماما عن نظري.

• • •

البوهيمي

وقت الغروب؛ الطقس خريفي، أوراق شجر متساقطة، صوت الحفيف، في وسط تلك الاختلاجات الطبيعية الرائعة، يسير ممدوح وسط شارع ضيق نوعا ما، تتراص على حوافه أعمدة إضاءة تشع ضوء أحمرا خافتا بعض الشيء مرتديا قبعة وكوفية وواضعا يديه في جيب معطفه الطويل.

كان يسير بتؤدة، خافضا رأسه قليلا؛ أخرج يديه من جيبه ليشعل سيجارة، نفث الدخان فتصاعد عاليا في صورة

إهليجات بالغة الرهافة، بعد قليل من سيره قابله رجل جالس يمينا، يرتدي سترة ممزقة ويمد يديه ليشحذ، لم يعيره ممدوح أي اهتمام ولم ينظر إليه أصلا..

(كانت تلك عادته دوما في التعامل مع الشحاذين)،

أمد الخطى منحني الرأس حتى وصل إلى آخر الشارع، انحدر يمينا ومن ثم دخل أحد المقاهي الراقية إلى حد ما ليختفي أثره من الشارع الممتد في لا مبالاة.

• • •

دخلتُ المقهى لأجد هذا العربيد جالسا في ركنه الأقصى كعادته، في وجود ممدوح أُلفة وملاذ صادق، ولطالما طُفنا سويا في أنحاء المدينة وارتدنا مقاهيها وباراتها وأرصفتها! في جلستي معه أفيض بما يموج بداخلي وأبوح بمكنوني، يسرني معه البوح؛ سحبتُ كرسيا أمام الطاولة وجلست في مواجهته،

تأملته قليلا قبل أن أجده يقول:

- نحن مجتمع يستحق الإبادة!

لم أرد، وأخذت أحدق في صمت فاستطرد:

- كل ما نعيشه بات لا يطاق، حتى هؤلاء الشحاذين لا أعرف لماذا يملؤون الشوارع بتلك الطريقة المقززة؟!

أتم جملته ثم أمسك بكوب الشاي الكائن أمامه مرتشفا منه، بعدها وضعه على الطاولة بقوة جعلت بعض الرذاذ يتطاير وكأنه يشاركه في تمرده، وقبل أن يتفوه أشار ملوّحا بيده لأعلى، اقترب منه النادل مذعنا لطلبه فقال له ممدوح:

- أريد زجاجة من (الريد ليبول) وبعض حبات الذرة الإسبانية.

أدار النادل مؤخرته الكبيرة لجالسي وذهب متوجها لغرضه حتى تلاشى عن ناظرينا، نظر لي صديقي بغضب قائلا:

- لماذا لا تتكلم؟!

رمقته بنظرة ثاقبة قبل أن أطلق كلماتي:

- ألن تكف عن تلك الهلوسة التي تعتريك؟

بان الغضب أكثر وضوحا على وجهه، أخذ نفسا من سيجارته ونفث دخانه وهو يقول:

- أي هلوسة تلك التي تتحدث عنها؟

فاستأنفت محاكمتي:

- ما الذي دهاك؟! نحن في عالم يحتاج لتصرفات وليس لاتهامات جوفاء نُعلق عليها فشلنا، في هذا العالم يا سيدي البقاء والغلبة لصاحب المال، وليس لصاحب أقلام الرصاص الرخيصة.

كان النادل قد أتى بالشراب، أزال ممدوح غطاء الزجاجة وأفرغ القليل من الويسكي في الكوب، ابتلعه برشفة واحدة ثم نظر إليا قائلا وقد بانت على وجهه علامات الاستنكار:

- هل ستتخلى عن مبادئك؟

قلت بصوت أهدى قليلا راسمًا على وجهي ابتسامة صفراء:

- أي مبادئ تلك؟ ماذا فعل لي الفن التشكيلي يا ممدوح؟!

ما سعادتي في بعثرة ألوان على لوح أبيض، وأنا لا أجد ما أقتات عليه؟

- سعادتك في إتمام رسالتك بصرف النظر عن أي مقابل مادي.

قالها وهو يرتشف من الكأس الثاني، فردَدْتُ عليه بنفس ملامح النظرة الأولى، ولكن بصوت أعلى قليلا:

- أفِق من غيابك، المال هو كل شيء، أنظر حولك لترى البنايات الشاهقة، والسيارات الفارهة، والنساء الأنيقات الجميلات، كل هذا لن يأتي إليك إلا بالمال، لن يأتي إلا بالصراع.

قاطعني بسرعة قائلا:

- الصراع والنفاق والسرقة؟

قلت بغضب:

- وليكن يا صديقي، خذ الحياة على ما عليها، كم حياة

ستعيشها؟ إن لم تنتهز الفرص فعليك السلام، اخلع عنك رداء الغرور هذا، انبسط للناس وعش معهم بطريقتهم، إن كذبوا فاكذب وإن سرقوا فاسرق وإن فسدوا فأفسد، واعلم أن الشِعر لن يُؤتي ثماره ولن يجعلك تعيش حياة كريمة.

رمقني بتعجب قبل أن يقول:

- يؤسفني أن تقول مثل هذا الكلام.

كنت أعلم يقينا أنه لن يتقبل كلامي، فأنا أعرف ممدوح جيدا، ليس من السهل أن يتغير أو أن يقتنع بما يخالف اعتقاداته، ممدوح يعتقد بأنه إنسانا عظيم وعبقري، وأنه أفضل شاعر مقارنة بمعاصريه من الشعراء، كل ما يشغل اهتمامه هو كتابة الشعر واحتساء الويسكي ومرافقة الفتيات، يرفض كل تقاليد المجتمع وعاداته، حتى الدين نفسه تخلى عن اعتناقه قائلا ذات سُكْر:

- الدين هو أكثر اعتقاد اجتماعي متخلف.

يبتعد دائما عن أي تقيد، حتى الزواج يرى أنه بمثابة إحجام لحريته، فهو أسلوب اجتماعي مشوه، فأطلق العنان لحريته، تعددتْ علاقاته بالجنس الآخر، لم يكن ليفرق بين فتاة صغيرة أو امرأة طاعنة في السن، يغتنم منهن لحظات متعة عابرة ولا يفتأ يكتب عنهن شعرا!

الشعر الذي اتخذه ممدوح قِبلة أحادية لحياته برمتها، تفرغ تماما للكتابة برغم فقره المدقع، الذي جعله يدين للعديد من أصدقائه بمبالغ مالية طائلة.

أما أنا فقد تركتُ -وللأبد- الفن التشكيلي، لا أنكر أنني موهوب فيه وإن لم تكن موهبة ثقيلة، بَيد أنني اخترت طريقا آخر، طريق المال الذي اكتشفت أنني موهوب فيه أكثر من الرسم، موهبتي تكمن في ذكائي الاجتماعي، وقدرتي على إقناع أي شخص بالعمل معي، مساهما بماله الذي أستثمره ببراعة ليعود بربح مغدق عليّ وعليه، وبرغم انشغالي الدائم بالعمل، وقناعاتي المادية، لم أعتزل صديقي ممدوح وأنتهز كل

فرصة من الممكن أن أجالسه فيها.

أشعل ممدوح سيجارة أخرى، وأشْعلتُ أنا أيضا، ثم أمدّ يده لي بزجاجة الويسكي طالبا مني أن أشاركه الشراب، أخذتها من يده وعبأْتُ نصف الكوب، كانت حدّة الحديث قد أضفتْ علينا رغبة شديدة في السُكرِ والتغيب، أخذنا نرتشف كأسا تلو الآخر، وبدأ انتشاء السكر يسرى بداخلنا، بدأ الحديث يأخذ منحنى آخر، تحدثنا في السياسة وعن فتيات الليل، قال لي ممدوح:

– هل هناك فرق في مجتمعنا بين السياسة والعُهر؟ وبين التدين والفجور؟ الناس في الظاهر يمقتون الرذيلة ويؤتونها في الخفاء، والسياسي الذي يتحدث عن الإصلاح هو ذاته الذي ينافق الأعلى منه سلطة، والمتدين الذي يتشدق بالأخلاق هو الذي يكذب ويتخابث.

– معك حق.

هكذا قلت مما جعله يستطرد أكثر وقد بانت على وجهه علامات الثمالة:

- فليحترق المجتمع بكل ما فيه، أفكار رجعية عفا عنها الزمن، خبث، ونفاق، ولئم، وكذب، وفهلوة، وفساد، وتخلف، وجهل، نحن عالة على الوجود، ألا يدرك الغرب والأمريكان هذه الحقيقة؟ لماذا اخترعوا القنابل الذرية وتركوها بلا استخدام؟ لماذا لا يقومون بإبادتنا؟

قال تلك الجملة فضحكتُ بصوت عالٍ، وضحك هو أيضا، قلت له وقد سكرت أنا أيضا حد الثمالة:

- ربما ينتظرون كي يعرفوا إن كانت تلك القنابل ستتأثر بها حقول البترول أم لا!

علت ضحكاتنا، نظرتُ بجانبي فوجدت لوحة معلقة على الحائط، تطلعت إليها قليلا، كانت اللوحة عبارة عن امرأة ريفية تقوم بوضع أطباق الطعام على طاولة أرضية منخفضة، قد التف حولها باقي أفراد العائلة الفقيرة، ظللت أتأمل اللوحة

قليلا، فجاء صوت ممدوح قاطعا تأملي:

– هل أعجبتك اللوحة؟

قلت مقتضبا:

– قليلا، لا علينا من هذا الآن، قل لي ألن تقوم بطبع ديوانك الأول قريبا؟

وكأن السؤال كان سكينا طعنته، أجابني باستنكار:

– طبع ماذا؟ أنشر لمن يا صديقي؟ هل جننت؟! أنا أكتب الشعر لنفسي ولصفوة الشعراء، تكفيني محافل الشعر التي أتردد عليها وبعض الندوات، الطباعة تعنى نشر الشعر للجمهور، والجماهرية تعني الفشل!

– ولكن كيف ستصل كتاباتك للناس؟

– أنا يهمني صفوة الشعراء، لا يهمني الناس.

هكذا قال بغرور واضح، فأجبته موبّخا:

– أنت تكذب على نفسك يا ممدوح، ليس هذا ما يمنعك من الطباعة.

تأهب لإجابتي بعدما سألني:

– وما الذي يمنعني إذن؟

– يمنعك أنك لا تمتلك المال اللازم للطباعة أصلا.

أغضبته تلك الجملة كثيرا فردّ على بحدة:

– لا أقبل منك هكذا الكلام، هل سكرت يا عزيزي؟ هل تُكذبني فيما أقول؟ افتقادي للمال لا يجعلني أكذب، لو كان المال هو السبب فلن أتأخر عن البوح لك بذلك.

وجدته قد احتد في الكلام كثيرا وبانت على وجهه إشارات الضيق، فاستطرد ملقيا عليّ بتلك الجملة:

– أنا لست عبدا للمال مثلك.

تألمت كثيرا من هذا الكلام مما جعلني أردد:

– لا، كلنا عبيدا للمال، لو كنت تمتلك المال لكنت الآن شاعرا معروفا ومشهورا، ولقمت بنشر العديد من الدواوين.

– لا يهمني النشر ولا الناس.

– بل يهمك، كلنا عبيد للمال، وأنت أولنا.

صمتَ لحظة، بعدها وجدته يرمقني بنظرة ثاقبة قائلا:

– صديقي؟! لا، لم يعد يوجد بيننا صداقة من الآن، فليذهب كل منا في طريقه.

ألقى عليّ بتلك الكلمات الغريبة والحادة، ثم نهض من كرسيه متجها نحو الخارج، تابعته بنظرات مندهشة ومتعجبة، ارتشفتُ كوبا من الويسكي بنهم ورميت عليه قبل أن يخرج جملتي الآنفة:

– لا تنسى، كلنا عبيدا للمال.

حتى غاب عن عينيّ، كنت متألما جدا مما قاله، هل بتلك السهولة يتخلى عن صداقتنا؟! لا، من المؤكد أنه سيعود لرشده قريبا، دارت عينيّ المزغللة من أثر الشراب في أنحاء المكان، وفجأة وقعتْ مرة أخرى على تلك اللوحة المعلقة، ظللت أنظر إليها، أتأمل تفاصيلها البديعة، فأحسست بطيف جمالي يعلوني ويستبد بي! صببتُ كأسًا آخر، وأشعلت سيجارة، تأملت اللوحة مرة أخرى، وتذكرت تلك الأيام التي كنت

أباشر فيها موهبتي في الفن، راودتني إحساسات غريبة افتقدتها كثيرا، أشحت بوجهي عن اللوحة بعيدا، وطلبت زجاجة أخرى من الويسكي.

• • •

خرج ممدوح من المقهى حيث الشارع الضيق مرة أخرى، كان المطر أشد من ذي قبل، لفّ كوفيته لتطوق رقبته جيدا، ووضع يديه في جيوب معطفه، أخذ يسير بخطوات بطيئة غير عابئ بالمطر؛ انعكست أضواء الإنارة على المياه المتساقطة أرضا صانعة لمعانا ملفتا، فاختلجت بداخله الكثير من الشاعرية، الطقس مهيأ للإبداع، ها هو الشعر يتجلى! انتشى كثيرا بذلك، لم يكن يهمه تركه لصديقه فمن الممكن أنه سيستعيد صداقته مرة أخرى، ولكن ما يهمه الآن هو أن يبعثر تلك الأحاسيس شعرا على الوريقات، فإن أهمل هذا التجلى لن

يستطيع استعادته، أسرع الخطى في هذا الطريق اللامع الممتد، كان الطريق خاليا تماما من المارة، لكنه وجد على شماله ذاك الشحاذ لايزال جالسا كما هو، ينهال من فوقه المطر بلا أدنى اكتراث منه، رمقه ممدوح بنظرة متعالية ثم نظر أمامه مستأنفا السير، حتى تلاشى تماما عن الطريق الذي لم يعد فيه سوى تصارع الأمطار فوق رأس الشحاذ.

• • •

الغريب

وقفتُ على حافة الرصيف مرتديا سترة سوداء، وفى يدي اليسرى غليونا منتظرا قطار السادسة، يحدوني أناسا من أماكن مختلفة، عن يميني تجلس امرأة عجوز بملامح قاسية، لونتها ريشة الزمن بألوان باهتة، تضع بجانبها قفة من الجريد مغطاة بملائة بنيّة اللون، وأسفل قدميها يرقد جرو صغير يعاني من الهزال الشديد، وعن يساري يقف رجلان في منتصف العمر يتبادلان الأحاديث والضحكات، وخلفي من يروح ومن يجيء ومن يتوقف لترقب القطار، لكل هؤلاء حياة مختلفة،

من المؤكد أنها عامرة بالأحداث، والتفاصيل، والانشغالات، لكل منهم أغراضه المنفصلة عن الأخرين، ولكننا جميعا -بلا شك- اجتمعنا في هذا المكان لغرض واحد فقط، وهو انتظار تلك الدودة الحديدية الطويلة، تلك التي يقتصر غرضنا الآن عليها، بمجرد وصولها نتداعى لها جميعا مصطفين للولوج بداخلها، نتراص فيها بانتظام، لا يشغلنا سوى غرض محدد وواحد، وهو الوصول للنقطة الأخرى، تلك النقطة التي ينتهى عندها الغرض الموحد، وما نلبث أن نتناثر خارجها لنلتف في دائرة الحياة، لكل منا غرضه المنفصل الأحادي.

تتوالى الدقائق اقترابا من السادسة، وتتوالى نفثات الدخان من فمّي، أنظر إلى يساري لألمح وصول القطار، حدثتْ جلبة حولي استعدادا لاستقباله، ها هو يلوح من بعيد! يعجبني هذا القطار كثيرا، فلم أجد في حياتي شيئا منضبطا مثله، يسير على قضيبين في اتجاه ثابت طيلة الوقت، له محطات محددة يتوقف عندها بثقة، ولا يلبث أن يتحرك في طريقه المباشر غير

عابئ بأحد.

بدأ القطار بالتباطؤ التدريجي المهيب، حتى اخترقت مقدمته مبتدأ الطوارئ، مرورا بمنتصفه حيث أقف، إنتهاء بآخره، بدأ الناس في التدافع خروجا منه، بشر من كل صوب، رجال ونساء، شباب وفتيات، أطفال وعجائز، منهم الضاحك ومنهم الباكي، منهم العابس ومنهم المنبسط، منهم النشيط ومنهم الخامل، انتظرت حتى تتحين لي فرصة الصعود للدودة الكبيرة، نظرتُ عن يميني فوجدت العجوز تنهض حاملة على رأسها قفتها الجريدية، فبان تحت قدميها الجرو الهزيل بشكل أكثر وضوحا.

تأهبتُ لصعود القطار، ألقيت غليوني ووضعت عليه قدمي فاركا إياه لأطفئ شعلته، وأنا أطأطئ رأسي للأسفل، رفعتُ رأسي مرة أخرى فوجدت مشهدا غريبا، رجل غريب الهيئة، غريب السحنة، غريب الدُنو، وجدته يقترب مني بخطوات بطيئة ورتيبة، وقف أمامي تماما ونظر لي قائلا:

- أستأذنك في سؤال.

نظرتُ إليه بنظرة مستريبة وقلقة، كانت ملامحه غريبة قليلا عن قاطني مدينتنا، لابد وأنه من منطقة بعيدة؛ تكسو وجهه حمرة مختلجة بلون قمحي، ذو ذقن متوسطة الطول، وشعر رأسه طويل نوعا ما يختلط سواده ببياضه، كانت نظرته الحانية والطيبة جعلتني أذعن لاستئذانه قائلا بهدوء:

- تفضل.

شكرني قبل أن يتفوه بصوت هادئ يتخلله العوَز:

- أنا لست من هنا، ووقع لي حادثا في طريقي إلى هنا قد أَحدث شرخا في عظام قدمي اليمنى على ما يبدو، وأتمالك خطواتي بصعوبة، أريد منك فقط أن ترشدني لأقرب فندق.

تفحصته قليلا قبل أن أجيب:

- سيدي، أنا لا اعرف في هذه المنطقة فندقا محددًا، ولكن من المؤكد إن بحثت ستجد مرادك.

شكرني على مضض، وقبل أن يتركني نظر بجانبه لتلك المرأة العجوز، فوجدها تنظر إليه هي أيضا! كانت تسير بخطوات متثاقلة متجهة لباب القطار والحِملُ يهتز فوق رأسها، التفتَ

بوجهه ناحيتي مرة أخرى بعدما تفقدها قائلا لي بثقة:

– ستقع القفة من على رأس هذه العجوز.

كان واقفا أمامي فاصلا بيني وبين الباب الذي تعتليه المرأة توا، وعندما تركني بان لي مشهد العجوز قبل أن تصعد القطار ببرهة، فجأة.. سقطت القفة من على رأسها مرتطمة بالأرض وناثرة لمحتوياتها!

تعجبتُ بشدة والتفتُ من فوري ناظرا لذاك الغريب، الغريب جدا، كان يبتعد عني بخطوات فيها عرج قليل، تابعته حتى خرج من محطة القطار مخترقا أحد الشوارع الجانبية المؤدية لمنطقة لم ألجأ إليها من قبل، لا يهم! كل ما يشغلني الآن هو أن أعرف إلى أين سيذهب هذا الرجل، ما كان يهمني هو مراقبته، هممتُ للاقتراب منه كي أسأله عن كنهه، وكيف عرف أن القفة ستقع من على رأس العجوز، ولكني تراجعت مهابةً، وآثرت المراقبة فقط، كان يسير ببطء وتمالك، رأيته قد توقف أمام شخصين محدثا إياهما، لابد وأنه يسألهما عن عنوان فندق، استأنف سيره واستأنفتُ أنا أيضا، انحدر لشارع

جانبي صغير، أسرعتُ الخطى بحرصٍ لئِلا يراني، انحدرتُ حيثما انحدر، كان بمنتصف الشارع، وكنت أنا بأوله، بان عليه العرج أكثر من ذي قبل، توقف وانحنى واضعا يده على قدمه اليمنى، ومن ثم استقام وراح يتحرك ببطء أكثر وعرج أوضح، كان الليل قد أذن وخفتت الرؤية في الظلام، لمحته منحدرا لشارع آخر، جريت خوفا من أن يغيب عن ناظري، وعندما وصلت نظرت باحثا عنه، ولكنني لم أجده! كان هذا الشارع يفضي إلى شوارع أخرى كثيرة أكثر ضيقا وشرودا، التفتُ حولي فلم أجد سوى ثلاثة أشخاص، كانت تلك المنطقة غريبة عني، وتركيزي مع ذلك الغريب قد أضلني عن تذكر الشارع الذي جئت منه إلى هنا، وجدتُ الثلاثة أشخاص يقتربون مني، بادر أحدهم بالسؤال:

- هل تبحث عن شيء؟

قلت له:

- لا، أريد فقط أن تدلني على الشارع المُفضي لمحطة القطار.

كانت نظرتي له فيها بعض الحُنو المختلج بالعَوز، فقال لي

بعدما رمقني بتشكك:

- اسلك هذا الشارع ثم انعطفْ يسارا ثم..

وقبل أن يكمل وصفه، وجدتُ أعين الثلاثة تتجه صوب شيء ما خلفي، التفتُ بفضول، فوجدت ذاك الغريب! كان واقفا أمام مبنى مكون من ثلاث طوابق، معلق عليه لافتة كُتب عليها (فندق السعادة)، لم تكن رؤيتي له واضحة في الظلام، بيْد أنني أعتقد أنه نظر لي! ومن ثم لمحته يتجه ليصعد سلم الفندق، التفتُ لثلاثتهم، فقال لي أحدهم بعدما وجدني أرمق الغريب باهتمام:

- هل تعرف هذا الرجل؟

قلت بثقة:

- لا، ولكنني أعتقد أنه سيقع من على السلم الآن!

بعدما أنهيت تلك الجملة، سمعنا صوت ارتطام على السلم! ركض الثلاثة باتجاه الرجل وهم يلقون عليّ نظرات متعجبة، أدرت ظهري لهم وسرتُ بخطوات بطيئة، حتى خرجتُ من تلك الشوارع الضيقة، وصلتُ لمحطة القطار حيث كنت،

كان الطوارئ مزدحما، أناس من كل مكان، وجدت المقعد الذي كانت تجلس عليه العجوز فارغا، فجلست عليه، وتحت قدمي كان يرقد الجرو الهزيل الذي ظللت أتأمله حتى قدوم قطار التاسعة.

• • •

اللُعبة

في قفزات طفولية متتالية، يسير محَمد بجانب أبيه –الأستاذ عبد النبي– متجهيْن إلى السوق لشراء بعض المتطلبات للمنزل، كان الرجل يرتدي بنطالا أسود اللون، يعلوه قميص أبيض به خطوط برتقالية اللون –الذي تعمّد أن يسدله خارج البنطال ليداري به حزامه المهترئ– في سير الأستاذ عبد النبي جدية وانشغال، وفى سير محَمد مرح وارتياح بال، على جنبات الشارع تتراص محلات كثيرة، جال محَمد ببصره هنا وهناك باهتمام، حتى وقعت عيناه على محل لبيع لعب الأطفال،

كانت يده اليمنى متشابكة بيد أبيه، فرفع اليسرى وأشار صوب المحل قائلا:

- بابا، عاوز اللعبة دي.

انتبه إليه أبوه ناظرًا حيثما أشار، ثم تدلّي عليه برأسه وقال بروية:

- واحنا راجعين أن شاء الله.

- لا لا، أنا عاوزها دلوقت.

هكذا قال الطفل، فتذمر أبوه ولم يجد بُدًا من أن يتجه به ناحية المحل، ولِجا بداخله، انطلق محَمد داخل المحل بفرح بالغ حتى وقعت عيناه على لعبة كانت تعشش في مخيلته منذ زمن، كانت اللعبة عبارة عن سيارة صغيرة تسير بالتحكم عن بعد، ركض نحوها بسرعة وأمد يده ليلتقطها، فانتبه إليه أبوه ومن ثم سأل البائع:

- بكم دي؟

- عشرين جنيه.

أخرج من جيبه أوراقا نقدية -لا تزيد فئتها عن العشرين

جنيها- كانت غير مرتبة، سحب منها ورقتين من فئة العشر جنيهات ومن ثم أعطاها للرجل، حمل محَمد اللعبة بين يديه وقد بانت على وجهه ابتسامة فيها من السعادة الكثير، ومن البراءة أكثر، ثم خرجَا من المحَل متجهيْن إلى سبيلهما الآنف.

• • •

الأستاذ "عبد النبي بدْر شحاتة" يمتلك محلًا صغيرا لبيع البقالة، صاحب هيئة هزيلة وجسد غير ممشوق، يبلغ من العمر نحو الثالثة و الخمسين، سنوات عمره كانت شاقة للغاية، تنقّل فيها بين عمل وآخر ليقتات منه، ويصرف على زوجته وأولاده، إلى أن قام باستئجار محله؛ محَمد هو أصغر أبناءه الخمسة، آخر العُنقود، والابن المدلّل بحكم سنه، فبرغم ظروف الأستاذ عبد النبي الصعبة لم يكن ليبخل على محَمد بأي شيء يريده، يشتري له الألعاب ويأخذه للترفيه، ولكنه في نفس الوقت كان مقصّرا قليلا مع زوجته وباقي أولاده، ليس هذا بُخلا

منه، ولكن لظروفه المادية الصعبة، وكان يحاول بقدر الإمكان إرضاء زوجته وتلبية طلبات البيت حتى ولو بالقليل، ذات يوم كانت زوجته تود الذهاب لحفل زفاف ابنة جارتها وطلبت منه عباءة جديدة، فقال لها:

- لازم عباية جديدة؟

حينها أجابته باقتضاب واضح:

- أيوه يا عبده لازم، هو ينفع أروح بحاجة قديمة؟ ترضهالي؟

هزته تلك الكلمات كثيرا، فردّ عليها:

- هجيب ليكي أحلي عباية حاضر، مفاجأة!

وكانت مفاجأته أنه أخذ من عندها عباءة قديمة، وذهب بها إلى صديقه صاحب محل التطريز طالبا منه صبغ العباءة، وإضافة بعض الخرز اللامع لها، وكويها جيدا، استلمها منه بعد يومين وذهب بها إلى زوجته فرحاً وهو يردّد:

- أحلى عباية! فرحتْ زوجته وشكرته برغم أنها كانت تعلم مسبقا أنه سيفعل ذلك، إنها -والحق يقال- زوجة طيبة

وأصيلة للغاية، وتتقبله على الحلو وعلى المرّ، ولكنها أحيانا تضغط عليه كي تعطيه دافعا للحركة والإنتاج.

• • •

دخل عبد النبي إلى بيته بعدما أتم شراء المتطلبات، وضعها على الطاولة ثم ارتكن على (الكنبة) ليرتاح من أثر الطريق، ولكن محَمد ظل يمرح ويقفز هنا وهناك؛ فرحًا بلعبته الجديدة، جرَى على والدته قائلا لها:

- أنا جبت عربية يا ماما.

خرجتْ أمه من غرفتها حيث الصالة، فوجدت عبد النبي مرتكنا، اقتربت منه وهي تقول:

- الراجل صاحب البيت طالب الإيجار.

اقتضب زوجها وبانت عليه علامات الضيق قائلا:

- حاضر.

- إحنا بقالنا شهرين متأخرين عنه و..

قطعها قبل أن تُكمل:

- يووووه، ما قلت حاضر.

بعدها دخلت غرفتها وتركته، انطلق محَمد نحو أبيه بسرعة قائلا وهو يمد له اللعبة:

- بابا.. بابا.. تعالى شغلي العربية دي.

لم يرد عليه، فاستطرد الولد:

- يلا تعالى شغلي العربية، عاوز ألعب.

- يا ابني خلاص بقى روح لأمك خليها تشغلهالك.

نهره أبوه بتلك الكلمات فتركه الولد ودخل لأمه، خرج من عندها وقام بوضع السيارة على الأرض ممسكا بريموتها، وأخذ يحركها للأمام وللخلف وهو يضحك بصوت عالٍ وبهجة عارمة، كان الأستاذ عبد النبي يفكر مليا في إيجار الشقة، يجب أن يتحصل على المبلغ المطلوب بأي شكل، فلم يعد أمامه فرصة للتأجيل.

علت ضحكات محَمد أكثر، فنهره أبوه مرة أخرى، لم يصمت

محَمد، وجلجلت ضحكاته، انفعل عليه أبوه أكثر، ثم بعد قليل قام من جلسته متجها نحو باب الشقة فاتحًا إياه، وخَرج.

• • •

جلس الأستاذ فوزي على سطح منزله واضعا أمامه الشيشة، أشعل نارها وأخذ ينفث الدخان لأعلى منتشيا، كان يرتدي جلبابا طويلا بنيّ اللون ومتسخا من حافته السفلية، التي تتدلي ناحية حذاءه الأبيض المهترئ، بعد قليل أمد ذراع الشيشة لعبد النبي الذي التقطه متجها به صوب فمه، وبعدما أخرج نفحة الدخان الأولى، رمق صديقه فوزي قليلا ثم قال وهو يهرش في ذقنه:

– ياه يا فوزي، والله وأيام زمان.

– منور يا عبده.

هكذا قال فوزي، فرد عليه عبد النبي:

– دا نورك يا غالى، أخبار الشغل ايه؟

- كل شيء تمام وأخر حلاوة، سيبك من الشغل دلوقتى، أنا عندي ليك حتة نفحة مغربية ملهاش حل!

قالها وهو يضع يده في جيب جلبابه مُخرجا منه قطعه من (الحشيش)، ملَّصها من غطائها وقطم منها قطعة صغيرة، واضعا إياها على حجر الشيشة، ثم نظر لصديقه قائلا وهو يحرك حاجبيه:

- شد وادعيلي!

اعتلت ملامح الانتشاء وجه عبد النبي بعد وضع الحشيشة، وقال وهو ينظر إلى حذاء فوزي:

- أيوا كدا، هو دا الشغل!

ضحك الاثنان وساد بينهما صمت، بعد هنيهة؛ رمقَ عبد النبي صديقه بنظرة متفكرة ومتفحصة ثم قال:

- فوزي، إنت عارف مَعزتك عندي، وعارف إني لا يحوجني ليك إلا الشديد القوى، أنا عندي طلب منك لو ممكن؟

ردّ عليه صديقه وهو على علم مسبق بطلبه:

- أؤمرني.

- كنت محتاج منك ألفين جنيه.

صمت فوزي قليلا وقد تبدلت ملامح وجهه من الانتشاء إلى الجدية، ثم قال:

- إنت عارف يا عبده إنت عليك ليا كام؟!

- عارف والله، لكن الظروف صعبة، أنا محرج منك ولكن غصب عنى.

- كان بودي والله، بس معلش، أنا مش معايا فلوس حاليا.

فهم عبد النبي أن فوزي يتهرب منه، ولكنه -وحفظا لكرامته- لم يعاود المحاولة معه مرة ثانية، عجّل من جلسته معه وبعد قليل استأذن بالرحيل، ورحل.

• • •

دخل عبد النبي شقته فاستقبلته زوجته بالتحية وسألته إن كان سيتناول وجبة الغداء، فرفض ثم ارتكن لحاله على الأريكة، لمحتْ زوجته على وجهه آثار الضيق والحزن، فجلستْ بجانبه،

طبطبت على كتفه قائلة:

– يا عبد النبي، متقلقش، أن شاء الله ربنا هيفرجها، ربنا مش بيسيب اللي بيلجأ إليه، هون عن نفسك، واحمد ربنا على كل حال.

– الحمد لله.

هكذا قال، ثم طلب من زوجته أن تتركه وحده، فذهبتْ وتركته، اجترت الأفكار بعضها في ذهنه، أخذ يحسبها يمينا وشمالا، عصَر فكره وتأمل همه مليا، وفجأة، قطع تفكيره جلبة ابنه، خَرج محَمد من غرفة أخواته نحو الصالة بسيارته الأثيرة، وضعها أرضا وراح يحركها إلى الأمام وإلى الخلف وهو يضحك ببراءة طفولية خالية من أي هم، بعد قليل ترك اللعبة وذهب لإحدى الغرف، هدأ المكان، ولكن دماغ عبد النبي لم تهدأ، راح يفكر مرة أخرى، مال برأسه للخلف وركنها على الحافة العلوية لظهر الأريكة، جالت عيناه متأملة سقف الصالة المتشقق، أطلق زفيرا ومن ثم هبط برأسه مرة أخرى، فاستقرتْ عيناه على اللعبة، كانت السيارة لونها خليط من

الأحمر والأصفر والبنفسجي، طرَد نظره عنها، حتى جاءه صوت ابنه قائلا:

- بابا، تعالى إلعب معايا بالعربية.

- بس يا ابني اسكت روح إلعب.

بكي الولد قائلا له بصوت متقطع:

- لا أنا مش هلعب لوحدي، تعالى العب معايا.

نهض معه أبوه على مضض وتردد، ناوله الولد "ريموت" السيارة ثم قال:

- دوس هنا هتتحرك لقدام وهنا هتتحرك لورا، يلاا!!

ضغط عبد النبي على الزر المشار إليه فانطلقت السيارة للأمام، ثم ضغط على الزر الآخر فعادت للخلف، قام بتكرار العملية مرة أخرى، ضحك ابنه كثيرا وقد لفتْه سعادة غامرة، ابتسم له أبوه، خطف منه محَمد الريموت وبدأ يحرك السيارة وهو واقف بجانب أبيه مبتهجا، تأمله أبوه وابتسم له، بعد لحظة نادت الأم على ابنها كي يتناول طعامه، فرفض هو أيضا! زعقت له أمه، تذمر ثم ألقي بالريموت على الأرض وذهب تاركا أباه

وحده، ظلّ عبد النبي واقفا، نظر للأسفل صوب الريموت ثم انحنى ملتقطا إياه، كاد أن يلقيه ويجلس؛ ولكنه فجأة، قام بالضغط على الأزرار مرة أخرى! فأخذت السيارة تروح وتجيئ للأمام وللخلف بانحناءات طفيفة، نظر إليها بتمعن، أحس بشيء ما يسرى بداخله، ربما اطمئنان من نوع ما، فكرّر العملية مرة أخرى، تأمل السيارة وهي تتحرك، تفحص ألوانها، ضغطة على الزر العلوي تتقدم السيارة إلى الأمام، ثم ضغطة على السفلى ترجع للخلف، ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، ولكنه لم يلبث أن اغرورقت عيناه بالدموع، حتى أجهش بالبكاء.

• • •

سيجارة

جلستْ أمامي، كانت ترتدي معطفا بنيًا ومن تحته قميصا مفتوحًا من عند الصدر، ليبرز إنضمام نهديها، و"جيبة" قصيرة نوعًا ما مفتوحة من جانب فخذها، الذي تألق بياضه عندما وضعت قدمها اليمني فوق اليسرى، كانت في غاية الجمال والتألق والفتنة، ظللتُ أتأملها من أعلاها إلى أسفلها كل شيء فيها جذاب، تأملتُ وجهها مليا حتى استقرت عيناي على عينيها التي لفّتها رسمة كحل مركّز، عيناها فيهما تمرد وشرودا فيهما -حينما تنظر صوبَ عينيّ مباشرة- ذبذبات

تنبهني! فتجعلني أروح بخيالي بعيدا عن حدود جلستنا، أشرد بهما في ليلة ساحرة و رائقة، بطلتها جليستي، ليلة هادئة في بيت جميل نجلس فيه سويا على طاولة لتناول العشاء مع كأسين من النبيذ، وحولنا الشموع تضفي على المكان جوا شاعريا، على خلفيته صوت موسيقي هافت، فأخذها من يدها ونرقص سويا، أقترب منها حاضنا إياها، حتى أذوب في نيران جسدها المتوهجة، كان هذا خيالي الحالم؛ بيد أنني أفقتُ على أنه من الممكن أن هذا الخيال لا يليق بما قد تَقابلنا من أجله، انتبهت لها، فوجدتها تميل بصدرها لتستند على الطاولة الكائنة أمامنا في المقهى، قبضَت بأناملها المنمنمة حمراء الأظافر، على مقبض فنجال القهوة وشدّته مرتفعا ليستقر بين شفتيها المطلية بالأحمر، ارتشفت منه، فطبعَت على إطار حافة الفنجان العلوية نصف دائرة حمراء، ثم أعادته حيث كان، بعدها التقطتْ علبة سجائرها من أمامها، وأخرجت سيجارة واضعة إياها بين إصبعيها السبابة والوسطى، التقطتُ أنا الولاعة بسرعة طالبا منها أن تسمح لي بتلك المهمة، مالتْ

برأسها للأمام قليلا فانسدلت أطراف شعرها لتغطي جزءا من عينها اليمني، أضفي ذلك عليها جمالًا وسحرًا، أشعلَتْ السيجارة من يدي ثم عادت بظهرها للخلف، في حركتها عندما تقترب مني تفوح منها رائحة عجيبة! رائحة ليست ناتجة عن وضعها لأية عطور، ولكنها رائحة لها علاقة بأنوثتها حتْما، فعندما تلفني رائحتها تتملكني إحساسات عجيبة تجمع بين الانتشاء والخدر والرغبة، تجعلني أجذب لداخلي نفسا عميقا يتخلل كل أنحائي، ويدغدغ باطني.

سحبَتْ نفسًا من السيجارة فتوهجت شعلتها الأمامية، ثم نفثتْ دخانها فتصاعد في صورة أشكال إهليجية رهيفة، كانت ممسكة بسيجارتها بعناية واعتزاز، كانت تتعامل معها بحرص بالغ، حتى طرْدِها لرمادها المحترق في المطفأة، كان يتم برقة بالغة وكأنها تريد أن تحتفظ بترابط محتويات السيجارة وأناقتها بين أناملها، ارتفعت يدها الراعية للتبغ الملفوف لتتوازي مع أفق وجهها، ثم نظرت لي بتمعن وكأنها تكتشفني أو تنتوي

اختباري في أمر ما:

- ما اسمك؟

هكذا سألتني باقتضابة من جبينها، فأجبتُ:

- اسمي علاء.

اعتلتْ وجهها ابتسامة رقيقة وهي تردّد بزَمة من شفتيها:

- "لووووءة"

عندما تضحك وتبين أسنانها الناصعة يضفي ذلك على وجهها جمالا أكثر فتنة، وأشد جذبا، قلت لها:

- لم أسمع اسمي بأرق من هذا من قبل.

ضحكَتْ بخلاعة وسرعان ما هفتت ضحكتها، رمقتني بنظرة شهية قائلة:

- كم امرأة جربتها من قبل؟

- أنتِ أول امرأة.

قلت هذه الجملة بصدق، فابتسمت قائلة:

- إذن سأستغلك لأنك خام، يا لووووءة!

ضحكنا وقلت:

– أنا على أتم الاستعداد بدفع أي مبلغ تريدينه، فأنت بحق تستحقين.

ابتسمت وانحنت بصدرها المستدير ناحيتي قليلا وهي تنفث الدخان، توجهتْ بسيجارتها نحو المطفأة وهزّتها كي توقع رمادها المعلق، كانت السيجارة قد تأكل منها ثلثها تقريبا وقصرت قليلا، وبانت أقل تماسكا من ذي قبل، ارتفعتْ بها مرة أخري لتنظر لي قائلة:

– ليلتي بألف جنيه.

– سأعطيكِ ألفا في ليلتين، قابلين للزيادة إن أسعدتني.

لم ترد على وسرحتْ عني بعينيها، بعد هنيهة لمحتُ قطة صغيرة بيضاء تقترب من طاولتنا، فارتبكتْ جليستي وهشّت القطة بعيدًا، لكنها عاودت الاقتراب ثانية، فأخبرتُ جليستي بألا تخاف، تركناها لحالها، وعدت للحديث المهم:

– ها! ما رأيك؟

– في ماذا؟!

تعجبتُ من سؤالها، فقلت باهتمام:

– فيما عرضته عليك.

– ماذا عرضتَ عليّ؟!

– ليلتان بألف.

لم تعبأ بكلامي كثيراً، وردّت بلا اكتراث:

– اه!

كانت في حالة تيه غريبة، صمتُ لحظة فوجدتها تمد يدها وتخرج من حقيبتها البنية شريطا من الدواء، اقتلعتْ منه حبة وقذفتْها في فمها ثم أتبعتها برشفتين من الماء بُغية الابتلاع، خلصَتْ من ذلك ومن ثم قالت:

– أسفة يا لووووءة، أنا فقط أعاني من بعض المشاكل.

قلت لها:

– لا عليك، على العموم نحن لن نتجادل كثيرا في هذا الأمر، المهم أن تسعديني.

– سأسعدك، ألا تثق في؟!

– من فرط ثقتي فيكِ، أحاول أن أتأكد منكِ بسؤالي.

قلت ذلك وأنا أصطنع ابتسامة، فابتسمت هي أيضا، وتبادلنا

بعض الهمسات التي كان يتخللها نفثُ الدخان من فمها بين الحين والآخر، توقفَتْ فجأة عن الحديث، وأنزلتْ قدمها التي كانت تعتلي الأخرى، وكأنها تتأهب لاعتلاء من نوع آخر! كانت السيجارة قد حُرِق منها الكثير ولم يبق منها إلا القليل، مما جعلها تفقد أناقتها الأولية وتماسكها: كثرت التجاعيد في الورقة التي تحوي التبغ، واهترأت مؤخرة السيجارة القطنية من أثر البلل الناتج عن لمس الشفاه، قالت لي:

– شقتُك بعيدة؟

أجبتها بسرعة:

– ليس كثيرا، ربع ساعة بالسيارة.

– إذا فهيا بنا.

سعدتُ بطلبها، وسَرَت بداخلي ارتجافات خفيفة وإحساسات شهية، فقلت لها بنظرة داعية:

– هيا بنا، تفضلي.

نهضَتْ من جلستها فبانت في استقامة جسدها مثيرة للغاية، تحركتْ شهوتي أكثر، وكنت أتمنى أن أحلق بها سريعا حيث

شقتي، ربع ساعة كثيرة جدا! لن يسعفني الصبر على هذا الجسد الفائر المثير.

حملَتْ حقيبتها على كتفِها واستدارت تأهبا للسير، وقبل أن تتقدم خطوة ألقتْ بسيجارتها المنتهية على الأرض، كانت قد احترقت بأكملها ولم يتبق منها سوي القطعة القطنية الملوثة من أثر القطران، داستْ عليها بقدمها فاركة إياها، أخذْتُ بيدها وسرنا، بعد حوالي خطوتين منّا، لمحْتُ القطة البيضاء تقترب بسرعة نحو بقايا السيجارة المفروكة، تدلّت برأسها مستنشقة إياها، ولكن فجأة، هزت القطة رأسها بتقزز وجرَت بعيدا عنها، وعن محور الطاولة.

• • •

.

عطر وابتسامة

في كبريائها المتأنق، تختال مريم على عتبات سلم منزلها النازل بشكل مستدير قاصدة الطريق المقابل، تشع منها بهجة وتألق، وتفوح منها رائحة عطرية جميلة، مرتدية "جيبة" حمراء يعلوها قميصا أبيضا مطرزا بخرز فضي لامع، وعلى شعرها "بونيه" رقيق أحمر اللون يؤطره شريطا ذهبيا مموجًا، بانت بكلها فاتنة وجذابة، خارقة لحدود التشابه مع الأخريات، تلفها هالة تجعلها كنجمة مضيئة وسط ظلام حالك؛ أمدت

خطاها الرقيقة بتثنيات أنثوية فيها من الفتنة الكثير، ومن الإغواء أكثر.

ساقان ملفوفتان بانسيابية يعلوهما انحناءة خصرها الجذاب، ونهدان نافران يشعان ذبذبات منبهة لأعين العابرين، الجميل أكثر في مريم أنها واثقة جدا من نفسها، ليست تلك الثقة وليدة تأملها لذاتها فقط، بل لأن الكثيرين والكثيرات لطالما مدحوها وأثنو على جمالِها.

مبعثرين عليها أرق وأعذب الأوصاف والكلمات، وهي -والحق يقال- جميلة للغاية، غير أن تلك الثقة وذاك الإحساس بجمالها لم يجعلاها تخرج عن نطاق التمرد والتمنع الأنثوي عن الجنس الآخر.

لا تُبدي اهتماما لأي رجل مهما كان جذابا ووسيما، ولا تفضل أن تكون وسط رجال في أية مناسبة، ولا في غير مناسبة، واهتمامها بنفسها وأنوثتها ليس رهين وجود رجلا في حياتها، ولكنه اهتماما يخصها هي فقط، يبعث ما بداخلها

من رضا ويضفي على نفسها إحساسا بسرّها الأنثوي الفاتن.

بدت في طريقها فاتنة تسير بخطوات واثقة، لا تلتفت ولا تكترث بمن حولها، ولا تهتم بكلمات الغزل المتساقطة عليها من هنا وهناك، كل ما يشغلها الآن هو أن تصل لمحل العطور، لتقتني ما تفضله من عطر؛ في العطور أسرار بالغة، فهي تحرك مشاعرنا وتأخذنا لخيالات طليقة ونشوات روحية، في العطر ذكرى دافئة حينما ترتبط به إحساسات جميلة سابقة؛ عطرها يكتمل به إحساسها بكيانها، تبدع في اختياره ولا تقتصر على استخدام نوعا واحدا منه، وما تنويه اليوم هو أن تقتني عطرا برائحة الفواكه الفواحة.

ذكراها مع الفاكهة تمتد لزمن ماضٍ عندما كانت تصرّ دوما على الذهاب إلى حديقة شجر البرتقال، فتظل تتجول فيها أو تركض بفرح طفولي، فتنتشي برائحة الثمار المعتقة بأيد سماوية.

وقبل أن تصل إلى المحل، لمحت ثلة من الذكور، ما يقارب الخمسة شباب، بأعين ثاقبة ومتطفلة، أمدت الخطى أكثر كي تتجنبهم، في السير الأنثوي السريع حراكا جسديا أكثر إغواء! أتبعوها ملقين عليها بعض الكلمات الغزلية الجوفاء، فأسرعت بخطوها حتى دخلت محل العطور واختفت عن الأنظار.

اقتنت عطرها الأثير، وخرجت عائدة حيث طريقها المؤدي للمنزل، فوجدت هؤلاء الخمسة بانتظارها في الخارج! ارتبكت وعلا وجهها ضيق وغضب، لم تعيرهم أي اهتمام ومضت في طريقها بفتنتها الآنفة، لحقو بها وألحقوها بنفس الكلمات الغزلية الفارغة، ثم اقترب أحدهم منها هامسا ببضع كلمات، أسرعت في خطاها بغضب لا يخلو من ارتباك، وكادت أن تلقي عليهم بالشتائم ولكنها تعالت عن ذلك، وراودتها ظنون كثيرة.

ماذا لو تهجم عليها هؤلاء؟! ماذا لو أمد أحدهم يده ليلمس

جزءا فيها؟ ماذا لو ظلوا قاصدين إياها طيلة الأيام المقبلة؟ طردت تلك الأفكار من ذهنها، وصار كل ما يشغلها هو أن تصل إلى المنزل بسرعة، فليست تلك هي المرة الأولى التي تتعرض فيها لمثل هؤلاء، ولكنها المرة الأولي التي ضمت هذا العدد منهم.

تنفست الصعداء وبان عليها الارتياح عندما وصلت إلى المنزل، تواترت قدماها على السلم كأنامل عازف بيانو محترف، واعتراها وهي صاعدة إحساسا بالخلاص من هؤلاء.

فتحت باب شقتها ودخلت مسرعة نحو غرفتها، استلقت قليلا على سريرها، ومن ثم نهضت ووقفت أمام المرآة بأعين فضولية، نظرت بعينيها العسليتين إلى نفسها، وأمسكت بزجاجة العطر بيدها الصغيرة رافعة إياها نحو وجهها، اشتمت رأس الزجاجة منتشية برائحتها وهي تغمض عينيها وتأخذ نفسا عميقا إلى قاع أعماقها، بعثرت على هندامها القليل

منه، ثم اعتلت وجهها ابتسامة رقيقة.

• • •

فَقْد

في اللمس لُغتي، وإدراكي الحسّي، لغة لمسي البديعة لم تكن لتتأتى لي بدون فقْد، في الفقد يلهمني القدر عطايا ليست لأحد، أستطيع أن أميز الأصوات ببراعة مهما كانت مشوشة ومتداخلة، أشتم الروائح بمذاق مختلف طالما حكيته لأهلي ولصديقتي، أتذوق مشروبي المفضل بتلذذ غريب.

تلك عطايا الفقد، بيد أن عطيتي الأهم الآن، والأثقل، هي

أناملي. أحب قراءة الروايات كثيرا، فهي تحرك خيالي الحالم، أرى في خيالي كل ما يحلو لي، فهو حاستي العلوية؛ حاستي الجمالية التي أدرك بها ألوانا وصورا وأناساً، وحبيبا طالما تأملته في تلك الشاشة الخيالية الصافية.

صنعته ليتربع على عرش روحي ونفسي، وأوجدت له اسما، سميته سعد، ففي وجوده سعادة، وفى تأمله إسعاد لي، ورغد اشتياقي له يومي، وعندما يتمرد على خيالي وتجف ينابيعه، أرويه بقراءة الروايات.

وضعت أمامي روايتي التي اقتنيتها جديدا، حركت أناملي على غلافها ومن ثم بدأت التصفح، بدأت أناملي تتحرك، كانت تلك الكلمة هي عنوان القصة "أتوق للقاء"، بدأت بقراءة تفاصيل القصة بأصابعي!

عندما أنسرب داخل جماليات الحياة والسرد الإبداعي تتلاشى إحساساتي بالفقد، ويستبد بروحي التَوق، أتغذى على

الوريقات بنهم لذيذ وتعتريني رغبة ملحة في التحليق، فأطير لأفاق علوية بأجنحة من فضة، يحدني عن يميني وعن شمالي ملائكة، وسحب، وانحناءات قوس قزح، وأسراب من الطيور الحانية، وأحيانا أخرى تلح عليّ رغبة في الركض، فأظل أركض بلا سبيل هروبا من مجاهيل روحي ومن فقدي.

حركت أناملي على مبتدأ القصة، متلمسة النقاط البارزة، جذبني مبتدأ الكلام كثيرا، فاستأنفت القراءة بشغف، وتأثرت ببطلة القصة التي كانت تنتظر لقائها بحبيبها، هي مثلى في الانتظار مع اختلاف بسيط؛ وهو أنها تنتظر لقاء حبيبها الواقعي، أما أنا فأنتظره في خيالي.

أتممت قراءة مبتدأ القصة وصولا لمنتصفها؛ في الانتصاف تكمن دلالة الأشياء، نقطة المنتصف هي محور الكل الدائري، منها يجيئ المبتدأ والمنتهي، ومنها تلوح إشارات الاستبصار الكلي، كانت أناملي تتحرك برفق وبلمسات رقيقة، فتتلقف

النقاط وترسلها لعقلي الذى يفك شفرتها ويحولها لرموز جمالية بالغة الروعة، قراءة أناملي بلمس البروز، وقراءة عقلي بلمس شاشة خيالي الملساء، توقفتْ أناملي عند جملة أعجبتني "في الحب توق للوصال"، هل الوصال ترجمة فعليه للحب؟ وهل يكفي الوصال الخيالي ليروي ظمأ المحبين؟

هو الآن يكفيني وبه أرتوى، والأن يتألق خيالي وتأخذني القراءة لسموات فسيحة يتألق فيها سعدي، أقرأ بسعادة وبمشاعر رائقة، ترتسم على وجهي ابتسامات خفيفة متتالية، تتراقص أناملي على الأحرف البارزة وكأنها راقصة باليه محترفة، وفجأة توقفت أناملي عن الرقص! ....

لم تكن بروز تلك الجملة كبروز باقي الجمل كانت بروزا حادة، وشائكة، تأثرتُ بها كثيرا، وتوقف ذهني عندها ليترجم كل حرف منها على حدا، تحولت ابتسامتي لشجو، وتدفق الدمع من عيني متساقطا بين حنايا البروز، خلصت من قراءة القصة

بالكامل، أعجبتني كثيرا، وراودت إغواءات خيالي الذي كاد نبعه يجف، وألصقتْ بحائطي لوحات من عالم جميل تألقت عليه لوحة حبيبي، ذاك السعد المنتظر، متى يا إلهي سيتأتى الوصال؟ إني لفي فقد، لفي شغف.

كانت الصفحة لاتزال مفرودة أمامي، أخذتُ شهيقا عميقا أنتشي على إثره جسدي، حركت أصابعي بطريقة عشوائية على الكلمات، وطار خيالي لأعلى، طار إليه، طار معه، هل سأجده يوما ما هنا معي؟ هل سأتلمسه لأتأكد أنه ليس فقط خياليا؟ لابد وأنه سيأتي يوما، لابد وأن يتجسد لي حقيقة ملموسة، وليس فقط رؤية خيالية.

عينايَ ليس فيهما غير دموع بدأت تتداعى، ليس فيهما ضوء، ولا بصر، ولا أشياء، فقط دموع تتساقط على الورقة، وعشوائية لمس قصدتها لأصل إلى هذه الجملة الأثيرة، الأليمة،

والجميلة أيضا "أنتَ نورُ عينيّ".

• • •

كُحل

أحبتهُ، ولا تزال تُحبه، عاهدت ذاتها المتكئة على ذاته أنها ستظل تحبه، في ليلها الممدّد كطفل ناعس على فخذيها تداعبه؛ أماطت عن جمودها الشرود وراحت تحدق في صمت وتأمل، ليست الجنّات بعيدة عن خيالنا دومًا، فخيالها عندما يتخلله صورة المحبوب، تتفتح لها أبوابا تفضي لجنته الرحبية وزهوره ونسماته، أخذت تداعب ليلها الوديع، ويداعب خيالها مَن لأجله قد اعتراها الأرق الجميل، في الليل حكمة المحبين وقداسة العشاق، العاشقون ليليون بالضرورة، والليليون

هم غالبا من العشاق، وهي عاشقة ليلية كزهرة تظل ذابلة طيلة النهار وتتورد ليلا، تفوح، وتتفتح مخيلاتها التي تتقمصه، وتتشربه كي يروى ظمأها، يرويها، فتمتد وتتسع حدائق مبهجة، وطيور، وبحيرات، وأشجار، ومقعد يجلسان عليه وحدهما، مجردين من أي اعتبار، سوى أنهما فقط مع بعضهما البعض، متحابان و متعانقان، الخيالُ هو العدوّ الأول للواقع، وهو دائما على حق، هو محارب أسطوري، ذو أسلحة بديعة وكثيرة، وفيّ دائما لصاحبه، فهو عارف أكثر منا بواقعنا الغريب الممتلئ بتفاصيل قاتلة، واعتبارات، وأحوال، ومخاوف وأشخاص، عندما نستدعيه يستَل سيفه من غمده ويقاتل بنُبل، فيقف أمامه واقعنا كحشرة ضعيفة ضلّت طريقها إلى الضوء الحارق، ويأخذنا -خيالنا النبيل- لأفاق رحبة علوية جميلة تترأسها صورة المحبوب الغير مشوبة والمنجلية، والمتجلية على تفاصيل الروح والجسد، وروحها الآن فيه، وجسدها متمدد تحت الليل وزغزغة النسمات، كانت قد خَلُصت لتوّها من إعداد ملابسها المنتقاة بعناية دقيقة، وأعدت أمامها

"مكياج الوجه المتعدد": بودرة بيضاء، طلاء شفاه وردي، ألوان للجفن خضراء وزرقاء، والأهم من هذا كله هو الكحل الأسود الذي أهداه لها حبيبها ذات لقاء، الكحل فيه بعد جمالي عجيب، يضفي على العينين سحرًا يشبه الليل حينما يلتف حول القمر، عيناها هما القمر، والكحل ليل، وباقي وجهها كون فسيح فيه كل معاني الجمال والفتنة، ليلتها هانئة و سعيدة، ليلة لا يعقبها صحو على سرير، ولا على نداءٍ أجش، ولا على منبه تالف من صنع الكوريين، بل يعقبها صحو على لقاءٍ، على اقترابٍ، على عشقٍ مجسدٍ، يعقبها صحو على المحبوب.

للملوك عروش أرضية، وللعشاق عروش سماوية، عرشها الآن هو ذاك الكرسي الصغير القائم أمام مرآة تعكس صورة لوجهها الحالم الجميل، المرآة دائما لا تميز بين ما هو جميل وما هو قبيح، وهي أداة بشرية لم يهبها الإنسان العقل، لو كانت تلك المرآة ذات حس جمالي، لعكست صورة وجهها فقط دونما الباقي،

أعين حبيبها فقط هي التي تستطيع التمييز، وهى تدرك أن حبيبها الآن مثلها، في انتظار وتوق، أطلّت على وجهها في المرآة مبتسمة، وبدأت في وضع الألوان عليه، بدأت ببودرة الخدين والجبين، ثم بطلي الجفنين بالأخضر والأزرق، وقبل أن تضع طلاء الشفاه الوردي، أمدت يدها اليمنى لتلتقط قلم الكُحل الأسود، فلمحت بجانبها تلك الورقة التي كتب عليها منتظرها ذات ليل "أحبك يا روح القلب" حركت أصابعها لتتلمس الورقة، ثم التقطت القلم الكحلي متجهة به نحو عينها اليمنى؛ حركة ودوران الكحل حول العين بتلك الدقة والرقة، لها دلالة على سر الأنوثة نفسها، ليس من شغل الأنثى أن تراقب الأفلاك بميكروسكوب من العصر الوسيط، ولا أن تأخذ حفنة من الأعشاب وتحللها معمليا، ولا أن تقيس قدرة دبابة على الفتك، شغلها أبسط وأرق من هذا كله، وكل بسيط جميل، وكل رقيق بديع، وكل أثنى كامن بداخلها الجمال والإبداع، اللذان تتجسدا على سلوكها واهتماماتها، رسمت حول عينيها دائرة الكحل، فزاد بريقيهما واستجابت الأعين لزائرها الأسمر

الذى احتواها ولفّها، ولم تتمرد عليه راضية بتطفله المستدير.

كان الكحل متماسكا ومرسوما بدقة، أتمت جلستها بوضع طلاء الشفاه الوردي، وقبل أن تنهض ألقت نظرة على الورقة الأثيرة وابتسمت، فاستجابت لإبتسامتها كل ألوان وجهها، تثنت بودرة خديها مع تثنيهما، وتمطى الطلاء الوردي مع تمطى شفاهها، وتوقفت عن الرمش بعينيها فتوارى الأزرق والأخضر خلف رموشها، كل تفاصيل وجهها استجابت لبسمتها، إلا الكُحل الذي ظل ثابتا مع ثبات عينيها على الورقة.

أشفق عليها خيالها الليلي السابق حاملا إياها ليضعها رغما عن الواقع بجانبه، تجسد الخيال حقيقة؛ فها هي الآن قريبة منه، متلهفة لتلك النظرات الشاردة من عينيه، في شرودهما شجو سرعان ما يخبو، عندما تتعامد عيناه على عينيها، لتتخلل ملامحه بهجة وسعادة، تظل تتأمله كي تخزن في الذاكرة

أدق تفاصيله التي تكون لها بمثابة الترياق في لحظات الفراق، نظرات عينيه، إيماءات وجهه، إشارات يديه، رائحة عطره، أنفاسه، ألوان ملابسه، كلماته؛ في وصاله بها استكانةٌ، وانبساطٌ، وصمتٌ؛ في صمت المحبين معنى بليغ، الصمت حين الوصال هو أقوى معبر، لا يحتاج المحبون إلى كلمات كسائر الناس؛ الكلام هو أدنى مراتب البوح؛ الصمت لغة أثيرية تحمل أدق الإحساسات من المحب إلى المحبوب؛ بين المحبين ذبذبات روحية لا يفك شفرتها إلّاهم؛ وهي الآن لم يَخْف عليها بأن شروده اليوم مختلفا عن كل لقاء، أحسّت بتغير ما قد طرأ عليه، انبسطت له أكثر ناظرة إلى عينيه بحنوٍ، فانتبه إليها ناظرا إلى عينيها هو أيضا، كانت نظراته تحمل نوعا من الحزن والأسى، وأيضا التردد، حارت عيناه حول حنايا وجهها الجميل المتلهف بقلق عليه، غاص في عينيها كما لم يفعل من قبل، فلمح استدارة الكحل التي طالما أعجبته وأثنى عليها، وفجأة أشاح بوجهه عنها ولم يفتأ أداره إليها من جديد قائلا بأسى:

- هل ستسامحينني؟

قلقت للغاية من هذا السؤال، مالت في جلستها نحوه قليلا لترى عينيه وقد لمعت من أثر الدموع، ارتبكت وقالت وهي ترمش:

- أسامحك على ماذا؟

كان ارتباكها قد جعله يتردد قليلا في الإجابة، أغمضت عينيها فانغلقت دائرة الكحل على نفسها، أخذت نفسا عميقا، ثم فتحت عينيها من جديد، فوجدته يقول:

- لن أستطيع فعل أي شيء لكِ، الحياة أقوى مني.. سامحني.

قال تلك الجملة قبل أن ينهض من مكانه، تاركا إياها في معمعات التيه.

• • •

دخلت غرفتها وسحبت كرسيا وجلست أمام المرآة، في

حديثها مع المرآة تفيض بكل ما يجيش بداخلها مع قرينها المنعكس، سألت ذاتها كثيرا، هل أخطأت في حقه يوما؟ هل يكون بتلك السهولة ابتعاده؟ كيف سيكون حالها من بعده؟ انحت رأسها للأسفل قليلا شجوا وحزنا، فوقعت عيناها على تلك الورقة الموضوعة أمامها، نظرت إليها برفق، تأثرت بها كثيرا، حتى لمعت عيناها من أثر الدموع، كانت ملامحها حزينة ومقتضبة وجامدة، ظلت ملامح وجهها ثابتة، وظلت تلك الألوان المرسومة على وجهها غير عابئة بما يجيش بداخلها، إلا الكحل! الذي اختلط وامتزج مع الدمع منزلقا، راسما خطين متوازيين على خدها الأملس.

• • •

نشوة الجسد

مسْكُ الجَسد، وردُ الفُؤاد، أُلُق الروح، تلك الأنوثة المختالة على جمود الكون، وضجيج الوجود، في طلّتها ضياء، فتبدو كنجمة تتمرد على حنايا الكون المسحول بشهقة الظلام، تلك التي تتبعثر بجنون على أنحائي، وتنساب برفق في أوردتي، وتتوه بين حنايا جسدي، ذاك الجسد المبتل بعسلها، المخمور برائحتها المخلوطة بعطر السماء، ما هذا الذي يحدث لنا؟ ويحدث بيننا؟ إنا إذًا لفِي عشق، إنّا لفِي ولَهٍ.

هي رغدة منذ عرفتها، بأعوامها الثلاثين التي لم يدللهم أي

رجل، تلك الجامدة دوما في سلوكها والخائفة من إقبالها، المنطوية على ذاتها، تخشى البوح حتى لأقرب أقاربها، لم تُجرب الحب قط، ولم تلج دنيا الرجال كمثيلاتها، هي بجسدها الرائع المعمول بدقة، المرصع بأبدع الالتفاتات، الناصع بأنقى البياضات، هي بالتفاف ساقيها الجميلتين، ونهديها النافرين، وشفتيها الشهيتين، وأذنيها المنمنمتين، تلك الأذن التي اقتربت منها ذات لهفة هامسا:

- أنت أجمل أنثى في الكون.

حينها ابتسمت برقة ودلال، فبانت على طرفَيْ خديها نغازتان جميلتان، وانثنت ناحيتي بدلَعْ، فقُلت في نفسي: "إني الآن لفي اشتياق"

حينها كانت جالسة بجانبي، مددت يدي ووضعتها على يدها، واقتربت منها أكثر لأغمس أنفي في شعرها الفوّاح برائحة الخدر، وضعتُ يدي الأخرى على كتفها وضممتها إلى صدري، فمالت وارتكنت، رفعتُ يدي من على يدها

لأرفع بها وجهها نحو وجهي، اقتربتُ بشفتيّ لترتوي من عسل شفتيها، غرقت في قُبلتها، وانتشيت بطعم رضابها الحُلو، ودفئ جسدها الفائر، واستبد بي العشق، وهد أركاني السُكر، فسَرت بكل خلايا جسدي رعشات لذيذة جعلتني أتمايل حدّ الإغشاء، حينها رنّ جرس هاتفي المحمول، فتحت السماعة على الطالب قائلا:

– كيف حالك حبيبتي؟، لقد أوحشتنني كثيرا.

– أين أنت؟

– أنا هنا أقضي بعض الأمور.

– ولماذا لم تسأل عني منذ يومين؟

كنت أتحدث ورغدة بجانبي، فلم تعيرني أي اهتمام، كانت متقوقعة على ذاتها ومترقبة وصامتة، وكنت أنا أهيم وأكمل في الحديث الهاتفي:

– أسف حبيبتي، كنت مشغولا.

– أنت أوحشتني كثيرا وأتوق لاحتضانك.

- وأنتِ أيضا كم أشتاق إليكِ، هل سأراكِ غدا في شقتنا؟
- أكيد.

أتممتُ المحادثة التليفونية ثم انتبهت بكلي إلى تلك القابعة بجانبي، بالطبع لم تُعلق على تلك المكالمة كعادتها، ولم تكترث لخيانتي كعادتها أيضا! رغدة لم تجرب أي رجل من قبل، عرفتها عن طريق المصادفة البحتة، أعجبتني كثيرا، وما أعجبني أكثر -والحق يقال- هو جسدها، اشتهيتها بكل ما فيّ من شبق، وعاهدت نفسي بألا اتركها إلا وهي في حضني، وقد كان، أضأت شاشة هاتفي لأستمع لأغنية من مفضلاتي، كانت أغنية "أغدا ألقاك" لأم كلثوم، استبد بي الطرب فنظرتُ إلى رغدة بلهفة، أفهمتها بأني مشتاق إليها فاستجابت، أخذتها من يدها واستقلنا سيارة حتى شقتي، دخلنا الشقة وأغلقتُ الباب خلفنا، كان صوت أم كلثوم يهل من سماعة الهاتف وتهل أيضا فرحة القرب من رغدة، دخلنا إلى الغرفة، هذا هو الدخول الخامس معها إلى تلك الغرفة، جلسنا على السرير

بعدما ارتدَتْ قميصًا أحمرا قصيرا، شفاف الخصر والنهد، فاضح للخفايا مُحركا للأعاصير الجسدية، توالت تحدياتي فيها، وراحت يدي تمسح على كتفها وشفتي تدور حول وجهها فتلوَت رغدة!، قبضتُ بشفتيّ على شفتيها فتنهدت، مددت يدي لتعبث برفق في نهدها فتأوهتْ، حركت يدي على ردفها نامت! اعتليت جسدها بكل ما في جسد تقلبتْ، كدت أدخلها فرنّ جرس الهاتف! رنّ قاطعا صوت أم كلثوم، لم أرُد هذه المرة، انتبهتْ رغدة لقلقي أشارت لي بهدوء وهي تحرك يدها كي تستفسر عما يحدث، فأفهمتها بأن كل شيء على ما يرام، لمَحتْ شاشة الهاتف تضيء وتخفت فنبهتني بأن هناك من يتصل، طلبتُ منها بأن لا تهتم؛ كنت أعلم سلفا من الذى يقوم بالاتصال بي، تكرّر الاتصال مرة تلو الأخرى، وأخذَت الشاشة تضئ وتخفت مرات متتالية، وأنا مثلها، أضئ وأخفت داخل رغدة أشارتْ لي صامتة مرة ثانية بأن أغلق الهاتف، فمددتُ يدي وقبضت علي الهاتف ولكنها اهتزت فوقع مني على الأرض، أشارت لي لتستعلم عن المتصل،

أفهمتها بالإشارات بأن ما يضيء الهاتف هي الأغنية، سألتني بيديها عن الأغنية!، فحركتُ يداي بما يعنى أنها أغنية "أغدا ألقاك؟ ابتسمتْ لي وابتسمتُ لها ومن ثم احتضنتها غارقا بكلي في كلها.

كان التليفون مُلقي على الأرض بجانبنا وتضئ شاشته وتخفت مرارًا، لم ألتفت إليه، لا يهم، عندي خبرة كافية تجعلني أتعامل مع رغدة بالإشارات، تعلمتُ إشارات الصُم والبُكم خصيصا من أجلها، ما أجمل هذه التجربة الصامتة والهادئة، ما أروع الانتشاء الخالي من الكدر! ظلّت الغرفة طوال الليل تغط في لذة عارمة، وظللت أنا أغط في متعة ونشوة جسدية.

• • •

ارتواء

أمسكتُ بيدِها وإلتفتُ إليها، نظرَتْ لي بابتسامة ثم أحنت رأسها للأسفل خجلا، قبضتُ على يدِها برفق، فضحكتْ باستحياء:

- أحبكِ.

همستُ وأنا أقترب من أذنها، زادت سعادتها توقفَتْ فجأة والتفتتْ لي لتمتثل أمامي بكُلّها، بانَ وجهها أكثر جمالاً ولمعانا، قالت بسرعة:

- أنا أيضا أحبك.

تركتْ يدي واعتلت الطوارئ، لحقتُ بها ابتعدتْ عنّي وهي

تضحك بعذوبة زادت روعتها، قبضتُ على يدها مرة أخرى وضحكنا مستأنفيْن السير.

الطقس ربيعي، طيور تعتلي الأشجار المورقة باخضرار، نسائم هادئة تحمل معها عبق الزهور، أفق صافي مختلج بسحب بيضاء تتحرك ببطيء لتكشف عن سحر اللون السماويّ البهيج.

انحدرنا يمينا لتلك الحديقة الواسعة، سبقتني بخطوتين كغزال رشيق، توقفتْ فجأة كي تنتظرني، ابتسمتُ لها قائلا:

- سأتركك وحدك.

ثم التفتُ ومشيتُ بعكس اتجاهها، جرَت خلفي حتى لحقتْ بي أمسكتني من قميصي وجذبتني إليها برقة، سِرنا سويا متجهين لقلب الحديقة الأخضر، على الجنبات تتراص الزهور محلقة فوقها الفراشات الملونة الراقصة على زقزقات العصافير، أضْفَت علينا تلك الاختلاجات البديعة بهجة روحية جعلتنا نتألق حبا وفرحا، ارتوينا بالنسائم، أخذتُ شهيقا فانتشيت

به ومال بي، فمِلتُ معها جالسيْن على الحشائش الخضراء:

– الطقسُ جميل.

قلتُ لها وأنا أنظر حولي، فمالت برأسها وغمزتني بعينها قائلة بدلال:

– الطقس فقط هو الجميل؟

اقتربتُ منها قليلا وتفرستها بنظرة فاحصة لتفاصيل الحسن على وجهِها هامسا:

– كل ما حولنا يحاول أن يقلدك، أنتِ أجمل ما هُنا.

انحنت رأسها للأسفل بابتسامة رقيقة فمددتُ يدي ورفعتُ وجهها صوب عينيّ من جديد؛ في عيونها سحر وألق، فيهما تجليات من عالم علوي جميل، تأخذني عيناها لأسرار الجمال من حولي، فتجعلني أكثر تدبرا وإدراكا للسر الكامن بداخلنا، ذلك السر العميق الذي يتجلى علينا في لحظات الوصال والعشق، ويحلق بنا لنتلمس أفاقا بعيدة عازفين على أوتار التجليات الجمالية في الوجود، قلت لها:

- عيونك جميلة.

قالت:

- أنت أجمل.

- ما رأيك في هذا المكان؟

تساءلتُ، فأجابتني بفرح:

- ياه!.. مكان جميل.. سبحان الله!

مسّتْ بتلك الكلمة نقاط الحيرة بداخلي، الله! هل يكون هذا الجمال من صنع الله فعلا؟ أم أنها الطبيعة التي تشكلت ذاتيا ووضعت قوانينها الخاصة بعيدًا عن خالق علوي؟، من الممكن أن يشكل انسكاب الألوان على لوحة بيضاء رسوما عشوائية، ولكن عندما تكون تلك الرسوم متناسقة لتشكل موضوعا جماليا فلابد لها من خالق بديع، ولكن لماذا يحتجب الله عنا بذاته؟ وما السر في ذلك؟ هل من وصول لتلك الذات الكلية الخالقة بالإدراك الحسّي، أم أننا نحتاج لإدراكات من نوع آخر؟ إني لفي شطط!

نبهتني لها بعدما سرحت عنها قليلا:

- نحن هنا.

ثم بدّلتْ من جلستها واضعة قدميها بتثني تحتها، فبدَت انحناءاتها الأنثوية أكثر انسيابية ووضوحا وجمالا، أمسكت بيديها الاثنتين قائلا:

- لن أفارقك أبدا.

- نهضنا من جلستنا، عدلَتْ ثيابها، وقالت وهي تبتعد خطوتين للخلف:

- هل تستطيع اللحاق بي؟

هممتُ نحوها فالتفتت بسرعة راكضة أمامي بدلع ودلال، جريتُ خلفها حتى لحقتُ بها عند شريط من الزهور الجميلة المختلفة أنواعها، وقفنا متقابلين، خفتت ضحكتها تدريجيا وتبدلت بابتسامات هادئة مختلجة بحنو بالغ، أمسكتُ بيدها، نظرَتْ بجانبها واقتطفت وردة حمراء، أهدتها لي قائلة:

- أحبك.

أخذتُ الوردة من يدها مستنشقا إياها، سرَى بداخلي عبقها، فانتشَت روحي، وتفتحت مسام جسدي، استنشقتها مرة أخري وأغمضت عيني قائلاً:

– الله !!

• • •

تم بحمد الله

الفهرست

إطلالة ٧
البوهيمي ١٣
الغريب ٢٧
اللُعبة ٣٥
سيجارة ٤٧
عطر وابتسامة ٥٥
فَقْد ٦١
كُحل ٦٧
نشوة الجسد ٧٥
ارتواء ٨١

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر في وطننا العربي، والتخلص من النظرة الربحية عن طريق توفير الكتاب الورقي بتكلفة طباعته فقط، والإلكتروني بالمجان.

دار لوتس للنشر الحر هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده بدون تكلفة مالية تُذكر، وتمنحه كافة الحقوق بكتابه، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب، وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد في مجالات الرواية، القصة القصيرة، الشعر والخواطر، الأدب الساخر، والفكر، وبعض الكتب التي لا تخضع للتصنيف السابق لكن بدون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

إن كنت كاتب وتود النشر من خلال الدار وفقاً لمشروع النشر الحر، أو دعمه، أو المساهمة به...

إن كنت قارئ وتريد الحصول على أي كتاب من منشورات الدار..

فتواصل معنا:

Mob: +2 01091985809 - +2 01272143509

WhatsApp: +2 01091985809

Site: www.Lotusfreepub.com

Mail: Lotusfreepub@gmail.com

F Account: www.facebook.com/lotusbookshopp

F Page: www.facebook.com/lotusfreepub

أصدارات الدار

قلم عطر	خواطر	مجموعة مؤلفين
وعادت ريما	رواية	راضية موحوس
مثل ليلة حب	خواطر	أسماء إبراهيم
وكأني أحبك	خواطر	زهرة العدوي
عالم قراطيس قراطيس	أدب ساخر	هاني النجار
أوتار	خواطر	مجموعة مؤلفين
دماء على ثوب أبيض	رواية	نسمة أبو النصر
كوني أماً عظيمة	فكر	حاتم سلامة
أموات فوق الأرض	رواية	محمد جمال
بقلم رصاص	شعر	أمنه محمد قنّاش
حريق على الجسر	رواية	هانبي النجار
العالم لن ينتظرك	فكر	أحمد شاكر
القدرات السحرية	تنمية ذاتية	بسام سامي
البوهيمي	مجموعة قصصية	أحمد رشدي

لوتس للإنتاج والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢١٧٧٣ / ٢٠١٧